النكبة بين التعليم والتأريخ

ما بين المساق والتجربة

ما بين المساق والتجربة ولادة ونضوج وعبور، ولادة حكاية جيل انخرطت بحكاية الأجداد، ليتم العبور إلى منطقة القرار، نعم للأمل، لا للبكاء لا الأحزان.

فكانت البداية، حينما قمت أنا وزميلاتي بإجراء مقابلات عدة مع شريحة من اللاجئين واللاجئات، فكان لهذه المقابلات تأثير على أنفسنا، جعلتنا نتعلم كيف نوظف مادة التاريخ في حصص اللغة العربية، وكيف نكسر الحواجز لمعرفة ما وراء جدار اللجوء.

فمن خلال التجربة، كان صراع النفس يواجهنا، والوقت يداهمنا، فكان هناك تحدٍّ ما بين الصف الحادي عشر، والصف الثاني عشر، في تلك الفترات ازدادت ساعات العمل والإصرار لدينا على إكمال الفيلم على الرغم من تلك الصعوبات.

كانت التجربة بالنسبة لنا شجرة أمل، لتحلو هذه الثمرة بمعاني التاريخ، وآمال المستقبل، لتصقل منا شخصيات ممتزجة الأفكار، قادرة على مواجهة تحديات الذاكرة.

قبل البدء بعمل الفيلم الوثائقي، قامت معلمتنا باسمة صواف بإجراء نشاطات عدة تمهيداً للفيلم، فأصبحنا نعيش النكبة بكامل جوارحنا، فكأننا نعيش اللحظة ذاتها، كم شعرنا بثقل اللجوء، ومرارته، ومع هذا كنّا نشعر بالفرح ونحن نعيش مع زمن الأجداد.

كما لاحظنا التغيير الإيجابي الذي أصاب قدرتنا على التعبير، فهذا المساق أخرجنا من روتين حصة التعبير التي يمارسها غالبية المعلمين والمعلمات، إلى حيز أوسع في التأمل والتخيل.

وبعدها توصلنا مع معلمتنا إلى قرار بعمل فيلم وثائقي، فكانت البداية، بداية جميلة، بدأناها من مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، الذي استقبلنا بحفاوة، وكانت الكاميرا ترافقنا طيلة وجودنا في المركز، في تلك الزيارة حاورنا الباحث مالك عن النكبة، وما توصلنا إليه من ملاحظات واستنتاجات، حتى تبلورت فكرة الفيلم الوثائقي.

بدأنا العمل في العطلة الصيفية على الرغم من التزامنا بدورات صيفية لها علاقة بمادة الثاني عشر.

أثناء تصوير الفيلم الوثائقي، وأثناء الوقوف للمرة الأولى أمام الكاميرا كانت بدواخلنا رعشة خوف وقلق وخجل تتغلغل فينا، وتتربص لنا في كل مشهد. ولكن، مع تكرار العمل كُسر الخجل والخوف، وانزاحت الرعشة إلى المجهول.

فهذه التجربة التي عشنا فيها وعاشت فينا، فتحت أبواب المعرفة لدينا، واحتضنتنا في أقفاص الزمن، زمن ذاكرة الأجداد، فنبتت الرؤيا واجتازتها، معلنة خروج ولادة أمل جديد يستمر استمرار الذاكرة.

فشكراً جزيلاً للمعلمتين: باسمة صواف، وأمل قطاوي، فلولا جهودهما لما تشكل الفيلم، كما أقدم شكري إلى مركز القطان الذي أتاح لنا المرور بمثل هذه التجربة، فلولا دعمه لنا لما اكتمل الفيلم.

الطالبات المشاركات في المشروع